

المحاضرة السابعة/ الابداع والخيال الفني /

يعتبر الخيال أحد المصادر الرئيسية لعملية الابداع الفني كما يلعب دورا مهما في تحقيق الوحدة العضوية للعمل الفني ولقد ارتبط الخيال عند اليونان "بعقيدتهم و أن الشعراء متبعون و أن أرواحا معينة تتبعهم ، وأن هذه الارواح قد تكن شريرة وتكون خيرة "1 فالخيال عند اليونان هو ضرب من ضروب الجنون و ابتعدوا عنه و اعتبروه عملية شادة وقد كانوا اكثر تمسكا بالكليات والتي تختم بالعالم الخلفي التابث يدركه الجميع.

ولم يتوقف نقد الخيال في عملية الابداع عند المدرسة اليونانية بل تعداه الى مدارس العصر الحديث حيث يرى توماس هوبز " أن العقل وحده جوهر الشعر ، كما هاجم ديكرات الخيال ووصفه بأن تملك الملكة الفوضوية التي لاتراعي قانونا ، التي هي أم الجنون والأحلام والحمى "2

ان المدرسة الحديثة عملت على نقد الخيال واعتباره ضرب من الفوضى أملكة يغيب عنها فعل التنظيم وان غاب هذا الأخير فان عملية الابداع الفني تكون ناقصة او خاطئة في بعض الأحيان .

لكن هذه النظرة بدأت تتغير شيئا فشيئا في أواخر القرن ١٩ فأصبح الاهتمام بالعواطف والمشاعر احدى الأولويات في عملية الابداع الفني " فقد أثبت مسرح شكسبير أن لعبقرية الشاعر من الطاقات والقدرات ماتستطيع به أن تطلق أروع الأعمال المسرحية "3

ان المفكرين والفنانين بهذا الطرح قد جعلوا من العبقرية ومخيلة الفنان وقدراته هي احدى مصادر الخلق والابداع فقد اهتمت

1 محمد زكي العشماوي : فلسفة الجمال في الفكر المعاصر ، دار النهضة العربية بيروت ، دط ، ٢٠٠٤ ، ص ٨٤

2 المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

3 المرجع نفسه ، ص ٨٢

فلسفة شبلنج بالخيال " اهتماما خاصا ، وأفردت له مكان الصدارة و جعلته الملكة التي تمكن الانسان من الوصول الى الحقيقة ، وقالت انه القوة القادرة على التوفيق بين المتناقضات ، وعلى رؤية الوحدة التي تختفي وراء هذه المتناقضات "4

لقد أعتبر الخيال ملكة هامة من أجل الوصول الى الحقيقة فالعقل يقوم بجبل " وهي عملية خلق بمعنى ان تخلق من الذات موضوعا ، وتتكرر هذه العملية في تجارب العقول الجزئية حين تعي نفسها والعالم الخارجي. "5

فالفنان انطلاقا من قوة الخيال ينتج لنا مجموعة من الموضوعات تتحد فيه كل من الذات العارفة وموضوع العمل الفني لإخراج عمل فني في أحسن صورة ، كما يؤمن أيضا بملكة الخيال ودورها في عملية الابداع الفني و اعتبرها وسيطيين ملكات الحس والفهم .

كما يرى كولردج " أن الخيال يستطيع أن يجمع صورة من الطبيعة على ان الدور الذي يقوم به ليس مجرد جمع الصور، وانما هو تنظيم بين هذه الصور ، والتوفيق بين ما يكون فيها من متناقضات عن طريق رؤية الوحدة الباطنية المختلفة وراء هذه المتناقضات "6

ان كولردج يؤكد على أهمية الخيال في عملية الابداع ويؤكد على وظيفته في تنظيم الصور الفنية والتأليف بينها . و القوة الحيوية

4 زكي العشماوي : المرجع السابق ص ٨١

5 المرجع نفسه ، ص ٨٢

6 المرجع نفسه ، ص ٨٣

كما يقسم كولردج الخيال الى قسمين : الخيال الأولي والخيال الثانوي " فالخيال الأولي هو القوة الحيوية أو الأولية التي تجعل الإدراك ممكنا ، وهو في تكرار العقل المتناهي لعملية الخلق الخالدة في الأنا المطلق . أما الخيال الثانوي فهو يسعى الى ايجاد الوحدة ، والى تحويل الواقع الى مثالي ، انه في جوهره حيوي ، بينما الموضوعات التي يعمل بها (باعتبارها موضوعات ، في جوهرها ثابتة لا حياة فيها)⁷

و الوحدة التي يقصدها كولردج هي وحدة الشعور والعاطفة والاحساس .

⁷ المرجع نفسه ، ص ٨٦